

by John Dewey, consistent and this end highlights the importance of the media in propaganda constructive de-ambiguity and ambiguity surrounding the term democracy as a concept and practice by embodying it as a societal culture as one of the main mediating channels between the authority and society

This artical aims to highlight the rôle of the médias in building a democratic culture and it's impact on behavior social of individuals, among the most important findings, the média is a key rol in building democratic culture, with a wide range of freedom of expression and confirme it's position as a fourthe authority along with the three authorities.

Keywords : démocratie, culture, médias, démocratique culture, social behavior

المؤلف المرسل: ملیكة هارون

1- مقدمة

يعد مفهوم الديمقراطية من المفاهيم الحديثة الذي نال اهتمامات الباحثين في مختلف التخصصات، ورغم ارتباط هذا المفهوم بالمجال السياسي إلا أن تداوله في مجالات أخرى جعلنا نتحدث عن الديمقراطية الاجتماعية والديمقراطية الاقتصادية وغيرها، ورغم تعدد الاستخدامات فان المصطلح ينطوي على دلالة لغوية واحدة.

وإن كان منطلق مفهوم الديمقراطية يراد به دلالة النظام السياسي، فان كل نظام سياسي يعتمد على آليات اجتماعية لترسيخه وتحقيق استمراريته في المجتمع القائم عليه، وتعد وسائل الاعلام بمختلف أنواعها وأشكالها دعامة أساسية في ترسيخ معايير النظام السياسي، لينتقل هذا الأخير من دلالة التوجه الى دلالة

الفكر فيصبح بذلك ثقافة متبناة لدى افراد المجتمع، وفي هذا الصدد تتمحور إشكالية الدراسة حول التساؤل الجوهرى التالى: كيف تُساهم آلية وسائل الاعلام في توجيه السلوكيات المجتمعية من خلال

دورها في ترسيخ معايير الثقافة الديمقراطية بمجتمعات الدول الحديثة؟

للإجابة على هذه الإشكالية، نعتد المحاور التالية:

المحور الأول: البعد المفاهيمي والنظري للثقافة الديمقراطية

المحور الثانى: وسائل الاعلام والثقافة الديمقراطية: دراسة في اشكال من يبنى الآخر؟

المحور الثالث: دور وسائل الاعلام في بناء الثقافة الديمقراطية

خاتمة

فرضيات الدراسة: للإجابة على الإشكالية المقترحة في هذه الدراسة، نقترح الفرضيات التالية:

الفرضية الرئيسية: يختلف الأفراد في ادراكهم لموضوع الديمقراطية باختلاف تعرضهم لوسائل الاعلام المتباينة.

الفرضية الفرعية الأولى: لوسائل الاعلام المختلفة القدرة في بناء الصورة الذهنية للديمقراطية.

الفرضية الفرعية الثانية: كلما تمتعت وسائل الاعلام بمساحة أوسع من الحرية الإعلامية، زادت قدرتها على بناء الثقافة الديمقراطية في المجتمع.

الفرضية الفرعية الثالثة: للتوجه الفكرى لوسائل الاعلام دور في إرساء الثقافة الديمقراطية.

الهدف من الدراسة: تعد وسائل الاعلام بمختلف أنواعها شريك أساسي في العملية السياسية، كونها تلعب دور الوسيط بين السلطة والمجتمع، فهي تعد العامل الأساسي في عملية الاتصال السياسي، حيث تهدف من خلال هذه الدراسة الى معرفة طبيعة الصورة الذهنية للديمقراطية التي يمكن أن تبنيها وسائل الاعلام من خلال مضمونها المتنوع و المتعدد، وكيف يمكن لهذا المضمون التأثير في السلوك الاجتماعي للأفراد أي من خلال تبني مجموعة من القيم المؤيدة او المعارضة للديمقراطية، مما يجعلها تنتقل من دائرة النظام السياسي الى أسلوب للعيش وممارسة دائمة للمواطنين.

منهجية الدراسة:

تصنف هذه الدراسة ضمن الدراسات التحليلية التي نعتد فيها على البعد التحليلي للإشكالية المقترحة و التي تشمل الاستفسار حول مكانة وسائل الاعلام في بناء الثقافة الديمقراطية، من خلال الاعتماد على بناء نظري قائم على نظرية الغرس الثقافي التي تهتم بمسألة الإدراك الذهني لجمهور وسائل الاعلام حول المضامين التي تبثها بالإضافة الى علاقة ذلك بدرجة تعرض الجمهور للمضامين الإعلامية، وبما ان إشكالية الدراسة تعالج دور وسائل الاعلام في بناء الثقافة الديمقراطية فهذا يقودنا الى ضرورة ابراز البعد الوظيفي من خلال التطرق الى النظرية الوظيفية لوسائل الاعلام، التي تهتم بوظيفة هذه الوسائل في المجتمع في إطار علاقتها بالبعد الممارساتي السياسي.

تقوم هذه الدراسة على تحليل دور وسائل الاعلام في بناء الثقافة الديمقراطية من خلال مختلف المضامين التي تبثها عبر مختلف الوسائل الإعلامية المكتوبة او السمعية او السمعية البصرية، وحتى التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال.

2- المحور الأول: البعد المفاهيمي والنظري للثقافة الديمقراطية

2-1 مفهوم الديمقراطية:

يعود الأصل اللغوي لكلمة ديمقراطية إلى الأصل اليوناني، فهي كلمة مكونة من مقطعين **DEMOS** وتعني الشعب، و **Krates** وتعني حكم أو سلطة، و بذلك يظهر المعنى اللغوي للكلمة أنها حكم الشعب وان الشعب هو صاحب السلطة (مفرج و وآخرون، 2006)

كما أن التعريف الاصطلاحي للديمقراطية تعدد بتعدد المجالات التي استخدم أو ظهر فيها المصطلح، حيث يعرفها الرئيس الأمريكي الأسبق ابراهام لنكولن (رشوان، 2006) أنها: "حكم الشعب وبواسطة الشعب و من اجل الشعب"، أي أن يكون الحكم للشعب بالإضافة إلى اشتراك المواطنين في صنع السياسة و ممارسة الرقابة على ممثليهم أو نوابهم، ذلك تحقيقاً للخدمة العامة، فالشعب ليس مجرد رعايا لهذه الحكومة.

يركز هذا التعريف على اعتبار الديمقراطية مصدرها الشعب كونها تمارس من طرفه في مواجهة الشعب و لتحقيق اهداف تعود لهذا الشعب ذاته ، و تجدر الإشارة الى ان المقصود هنا بحكم الشعب هو الشعب بالمفهوم السياسي، اي مجموع الافراد الذين تتوافر فيهم شروط الناخب - مجموع الناخبين

في الدولة - فهذا الأخير هو الذي يمارس الحكم من أجل تحقيق أهداف تعود على الشعب بالمفهومين السياسي و الاجتماعي.

غير أنّ هذا التعريف جعل استصدار كافة القوانين المتعلقة بشؤون الدولة والمجتمع بإجماع أراء المواطنين، و ان كان هذا الامر نظريا مقبولا، و لكنه عمليا غير قابل للتطبيق، كون إصدار القوانين والقرارات تتطلب كفاءات معينة قد لا تكون متوفرة لدى كل فئات المجتمع، بالإضافة الى صعوبة الحصول على إجماع كافة المواطنين على كل ما يصدر في الدولة من قوانين و قرارات باعتباره أمر يمكن ان يؤدي الى تعطيل و تعقيد اصدار اي قرار او قانون في الدولة.

و لذا فان الديمقراطية لم تبلغ غايتها المثالية بعد، و هي حكم الشعب و للشعب و بواسطة الشعب، بل هي مثلما يرى روبرت دال (D.Robert) أنّها: "نظام حكم الكثرة"، لذلك فان الممارسة الديمقراطية الحالية ما هي إلا نفي للحكم المطلق وحكم القلة، و تجاوزهما الى حكم الكثرة الساعي للوصول الى حكم الشعب. (عدنان، 2006، صفحة 30)

ويعرف الفيلسوف البريطاني جون ستيوارت ميل (Jean Stewart Mill) الديمقراطية أنّها: "شكل من أشكال الحكم يمارس فيه الشعب كله أو القسم الأكبر منه سلطة الحكم من خلال نواب ينتخبونه بأنفسهم بصورة دورية".

أما باسيت (Bessette) (Lapierre, 2022) يرى: "أن الديمقراطية هي منهج سياسي يمكن بواسطته لكل مواطن الفرصة في الاشتراك من خلال المناقشة في محاولة التوصل إلى اتفاق إداري حول ما ينبغي عمله لصالح الجماعة ككل". (عدنان، 2006، صفحة 12)

إن الأساس الأخلاقي (كون الديمقراطية قائمة على المبادئ الانسانية الكبرى) والعقلي الذي ينطوي عليه مفهوم الديمقراطية يضعنا أمام تصنيف مجموعتين مختلفتين في تحديد مفهوم الديمقراطية وهي:

- **المجموعة الأولى:** وهي تضم المفهوم التقليدي للديمقراطية والذي تحصره في المجال السياسي أي تحديد معنى الديمقراطية في إطار الممارسة السياسية لنظام الحكم في دولة ما.

- **المجموعة الثانية:** وهي تقدم مفهوم أوسع للديمقراطية، وفيه يمتد المفهوم الديمقراطي خارج إطاره السياسي ليشمل العديد من المجالات في جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية.

وهذا الاختلاف بين المجموعتين نابع عن تطور المفهوم من الإطار السياسي أي أن المصطلح لم يعد محصوراً في نطاق ممارسة الحكم، بل أصبحت الديمقراطية نوعاً من السلوك، حيث يرى **جون ديوي John Dewey** أن الديمقراطية هي: "منهج للفكر و أسلوب للحياة فهي أكثر من مجرد شكل من أشكال الحكم، بل هي أسلوب للحياة الاجتماعية وخبرة مشتركة قابلة للانتقال"، و بذلك يربط **ديوي** الديمقراطية بمبادئ الثورة الفرنسية المحددة في: الحرية، المساواة، الاخاء، و هذا يعني ان الديمقراطية هي ذات أبعاد إنسانية تؤكد قيمة الفرد و كرامته الشخصية و الإنسانية في إطار الحياة الاجتماعية و هي بالتالي أسلوب لممارسة الحرية الفردية و الاجتماعية (مباركية، 2013).

2-2 مفهوم الثقافة

يتضمن مفهوم الثقافة في طياته العديد من الاتجاهات الفكرية المختلفة والناجمة عن الاختلاف في توظيف المفهوم في هذه المجالات كل حسب قيمه وتقديره وتأويله. ويعود ظهور الثقافة كمفهوم الى دراسات الأنثروبولوجيا التي تبحث في كل ما يتعلق بالإنسان البدائي، حيث ينصب البحث الأنثروبولوجي على اكتشاف جذور الثقافة الإنسانية، ليشهد المفهوم بعد ذلك ادراجاً للمقاربات النظرية والأسس المنهجية وذلك خلال القرن التاسع عشر.

2-2-1 الدلالة اللغوية للمفهوم:

اشتق المفهوم من الكلمة اللاتينية culture بمعنى الاهتمام بالأرض، واكتسب المفهوم دلالة قدرة فن ما خلال القرن 16م، ثم يتوسع المفهوم الى المعنى العام ليشمل الآداب والفنون ومجال العلوم خلال القرن 18م، ولم يرتبط مفهوم الثقافة بالجانب التكويني والتربوي والفكري بصفة عامة الا في نهاية القرن العشرين.

2-2-2 الدلالة الاصطلاحية للمفهوم :

تختلف دلالة مفهوم الثقافة باختلاف المجال الفكري والاجتماعي الذي يوظف فيه، حيث نجد ان المفهوم يرتبط بالفن والتربية والتكوين، بالإضافة الى اقترانه بالفكر الفلسفي العقلي بعصر الانوار، ليقترن بعدها بمفهوم الحضارة وهذا في الفكر الغربي، اما في المجتمعات الإسلامية فلم تشهد اهتمام مفكرها بالمفهوم الا لدى ابن خلدون (**Ibn Khaldoun**) الذي يعد أول ما تناول المفهوم في القرن الخامس عشر ومنح له دلالة خاصة في إطار ما يسميه بعلم العمران الذي اعتبره قائم على أربع ميادين أساسية وهي:

- الناحية المعاشية او الكسب: سوسيولوجيا اقتصادية

- الناحية التقنية تتمثل في مختلف الصنائع

- الناحية السياسية: سوسيولوجيا سياسية

- الناحية الثقافية: سوسيولوجيا ثقافية (نفوسي، 2013، صفحة 96)

أما في مقدمته، استعمل ابن خلدون مفهوم الثقافة بشكل صريح وأورده في أربع استعمالات مختلفة، حيث يراد به في الاستعمال الأول دلالة الحذف والفطنة، اما الاستعمال الثاني فيراد بمفهوم الثقافة انها معالم الجيل الثالث من عمر الدولة حيث تسقط العصبية، وينصب اهتمام الناس على الشارة و الزي وركوب الخيل، اما الاستعمال الثالث للمفهوم يحمل دلالة الاستواء و التهذيب، اما الاستعمال الرابع للمفهوم جاء بدلالة الظفر والحذق.

والجدير بالذكر الى أن ابن خلدون حدد أحوال العمران في الملك و الكسب و العلوم والصنائع، وحدد طريقة الكسب في حالتي البدو الحضر، ووصف طباع الافراد في كلتا الحالتين، وهو أقرب الى مفهوم الثقافة لدى **مالينوفسكي Bronislaw Malinowski** الذي يرى أنها: "ذلك الكل الذي يضم الأدوات، وسائل الاستهلاك اليومي، القوانين المنظمة التي تحكم مختلف التجمعات الاجتماعية، الأفكار، الفنون، المعتقدات، العادات"، و هذه المقارنة تبرز لنا ان الفكر الخلدوني كان سابقا في حديثه عن مفهوم الثقافة (نفوسي، 2013، صفحة 98) خلال القرن الرابع عشر.

وانطلق **مالك بن نبي (Malek Bennabi)** في تحديده لمفهوم الثقافة من خلال ما توصل اليه الفكر الغربي باتجاهيه **الرأسمالي والماركسي**، مقترحا في الوقت ذاته تصوره الخاص للمفهوم، فهو يحدد مفهوم الثقافة في حالتين: ففي الحالة الأولى يعتبر الثقافة أنها مجرد اهتمام ذهني له علاقة بجمع الوثائق او بالناحية العلمية، اما في الحالة الثانية فيتعلق الامر بمصلحة اجتماعية أساسية، هنا يتمثل الامر في موقف يطلب الينا اتخاذه لمواجهة فراغ اجتماعي ما. (نفوسي، 2013، صفحة 99)

ويختصر **مالك بن نبي** مفهوم الثقافة في الفكر الغربي في مدرستين أساسيتين هما:

● المدرسة الرأسمالية التي ظلت وفيه لعصر النهضة، وتربط الثقافة بالفكر أي بالإنسان.

● المدرسة الماركسية التي ترى ان الثقافة في جوهرها ثمرة المجتمع.

ويعرف **مالك بن نبي** الثقافة أنها: "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه، وبذلك تصبح الثقافة ذلك المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته،

والمحيط الذي يعكس حضارة معينة.....". (نفوسي، 2013، صفحة 100). ويعتبر مالك بن نبي أن هذا التعريف يتضمن شقين، الأول هو الإنسان، أي النزعة الفردية الطاغية في الفكر الرأسمالي والشق الثاني هو المجتمع بمعنى النزعة الاجتماعية الموجهة للفكر الاشتراكي.

إن الاخذ بمفهوم الديمقراطية لدى جون ديوي يجعله يتقاطع مع مفهوم الثقافة - بغض النظر عن تحديده في الفكر الغربي الرأسمالي أو الاشتراكي، أو الفكر الإسلامي - في العديد من النقاط يمكن حصرها فيما يلي:

- أن كلا من الديمقراطية والثقافة يرتكزان على الإنسان الذي هو مبدأ تكوين المجتمع، ومختلف العادات والمعتقدات والمكتسبات المادية والفكرية
- مختلف العمليات التفاعلية في المجتمع السلبية منها والإيجابية هي التي تسمح باستمرارية المجتمع وتكامله في الوقت ذاته
- كلا من الثقافة والديمقراطية يرتكزان على الفكر الذي يتجسد من خلال سلوك وقيم المجتمع، التي تعكسها وسائط مختلفة من بينها وسائل الاعلام.

2-3 مفهوم السلوك الاجتماعي:

السلوك الاجتماعي للأفراد هو كلمة مركبة من السلوك والبعد الاجتماعي له، حيث يمكن ربطه بأبعاد مختلفة مثل البعد الاقتصادي، أو السياسي أو الثقافي.

ويقصد بالسلوك هو طريقة للتصرف أو التعامل، وهو أيضا مختلف ردود الأفعال الصادرة عن الفرد (Larousse de poche , 1988)، أما الاجتماعي فيراد به المسار الذي من خلاله يكتسب الفرد مهارات تفاعلية معينة تحدد علاقته بالبيئة التي تحيط به ، وتنوع مصادر هذا المسار بنوعين من العوامل وهي العوامل الدالة اجتماعيا مثل الأسرة، المدرسة، المؤسسة، الجمعيات، الأحزاب السياسية، ووسائل الاعلام، أما العوامل السوسيو- ثقافية تتمحور في "اللغة، الممارسات الثقافية، الدين، نمط العيش و غيرها" (Lapierre, 2022).

حدد أثر السلوك الاجتماعي في ثلاث مجموعات تشتمل خصائص أساسية، ألا وهي:

- الخصائص الخاصة بالفرد: تشتمل على البعدين النفسي والاجتماعي.
- الوضعية الاجتماعية: تشتمل الوسائل والأماكن التي ترتبط بالفرد

● العناصر النفسية التعبيرية او الضمنية الخاصة بالفرد (Mourad, 2022) ويقصد بالسلوك تلك الأنشطة اليومية التي يقوم بها الفرد ويتفاعل بها مع مجموعة من الافراد ويتفاعلون معه، ويتضمن السلوك الظاهري الذي يمكن ملاحظته موضوعيا ويظهر ذلك على شكل تعابير لفظية، والسلوك الداخلي المتضمن العملية العقلية التي يتبعها الفرد كالتفكير و التذكر والادراك و التخيل وغيرها و لا نستطيع ان نلاحظها مباشرة ، ولكن نستدل على حدوثها عن طريق ملاحظة نتائجها (الجبوري، 2018).

3- المحور الثاني: وسائل الاعلام والثقافة الديمقراطية: دراسة في اشكال من يبني الآخر؟

تلعب وسائل الاعلام دورا محوريا في تشكيل السياق السياسي او تغييره بالمجتمع، كونها تعكس طبيعة العلاقة بين الدولة و المجتمع وبين النخبة و الجماهير بالمفهوم الإعلامي، و يتوقف دورها في عملية الإصلاح السياسي او التغيير السياسي حسب شكل ووظيفة تلك الوسائل بالمجتمع، و بمجال وحجم الحريات التي تتمتع بها، بالإضافة الى العوامل الاجتماعية (التركيبية الاجتماعية) و العوامل الثقافية المكونة للمجتمع، حيث ترتبط طبيعة و دور وسائل الاعلام في تعزيز النظام السياسي وصنع القرار السياسي، بفلسفة النظام السياسي الذي تعمل في ظله و مقدار الحرية التي تتمتع بها هذه الوسائل داخل البناء الاجتماعي.

وتعد وسائل الاعلام بمختلف أنواعها، التقليدية والحديثة، الفاعل الوحيد الذي يعكس مختلف صور الاحتكاك السياسي والممارسة والتعبئة السياسية التي تتحكم في إنتاج الرسائل والمضامين الإعلامية من خلال صياغة الخطابات المتوافقة للاتجاهات الأيديولوجية بما يخدم مصالحها وتوجهاتها التي هي في حقيقة الامر أيديولوجية النظام السياسي.

وظلت وسائل الاعلام التقليدية المقروءة والسمعية والسمعية البصرية الى غاية الان حتى مع ظهور التقنيات الحديثة للاتصال او ما يسمى وسائل الاتصال الافتراضي، من يصنع المشهد السياسي بمختلف المجتمعات على اختلاف أنظمتها السياسية، حيث يلجأ النظام السياسي في كل مرحلة من مراحل تواجده بالسلطة الى هذه الوسائل لتحقيق التعبئة السياسية التي تساعد النظام على البقاء والاستمرار، و حتى في حالة التغيير فان وسائل الاعلام هي من يؤسس للتوجهات الجديدة للأنظمة السياسية.

و يعد النظام الديمقراطي من بين التوجهات الجديدة التي تبنتها الدول (خاصة الغربية منها) والتي رات فيه العديد من الامتيازات للبشرية جمعاء، فأصبحت المنظمات الدولية بمختلف أنواعها ترى في ضرورة تبني الدول النظام الديمقراطي - حتى ولو يعتبر أنه ضرباً من ميثالية أرسطو (Aristote) التي لا يمكن تجسيدها في الواقع- ليس كنظام سياسي فحسب بل جعله مثلما يحدده جون ديوي (J Dewey) أسلوب للحياة تتفق فيه مختلف المجتمعات ، فظهرت هنا ضرورة إرساء ثقافة ديمقراطية نابعة من خصوصية المجتمع متكيفة حسب متطلبات النظام الديمقراطي.

وتتجسد علاقة وسائل الاعلام بالثقافة الديمقراطية، من خلال اتجاهات ثلاث هي:

3-1الاتجاه الأول: يرى أنصار هذا الاتجاه ان وسائل الاعلام هي أداة أساسية في إرساء الثقافة

الديمقراطية، بما يحقق الإصلاح السياسي بصفة عامة، حيث يتأسس ذلك من خلال تزامن انتشار الصحف و المحطات الاذاعية و التلفزيونية مع انتشار و ترسيخ القيم الديمقراطية بأوروبا و الولايات المتحدة الامريكية ، وطرح فولنمر **Katrine Voltmer** فكرة أساسية مفادها أن المعلومات و الأفكار و القدرة على تفسير الوقائع و الاحداث تشكل جانباً مهماً من مفهوم القوة المعاصرة وممارستها، و أن من يمتلك المعلومات و يوجهها يمتلك السلطة، فأصبحت وسائل الاعلام تمتلك جزءاً من هذه السلطة (الباقى، 2012، صفحة 24)

3-2الاتجاه الثاني: يرى بنظرة سلبية لوسائل الاعلام التي لا يمكنها ارساء ثقافة ديمقراطية

بالمجتمع يل أن وظيفتها هو العمل على إرساء ثقافة جماهيرية يستفيد منها النظام الحاكم، حيث خلص كل من **Gunter and Mughan** أن النظم السياسية السلطوية تتعامل مع وسائل الاعلام بالطريقة ذاتها، حيث تسعى النخبة الحاكمة في هذه النظم الى التحكم في وسائل الاعلام من خلال التحكم في المعلومات السياسية للجمهور العام باستخدام طرق وأساليب متشابهة، وتقوم الأجهزة الحكومية في هذه الأنظمة بالسيطرة و الرقابة على وسائل الاتصال الجماهيرية بجانب الرقابة الذاتية، مع تحديدها لمضامين هذه الوسائل بما يتناسب وتوجهها السياسي ويضمن استمرار النظام في السلطة (الباقى، 2012، صفحة 25)

3-3 الاتجاه الثالث: ينظر الى دور وسائل الاعلام نظرة اعتدالية في علاقتها بإرساء الثقافة الديمقراطية، وعليه يكون دور وسائل الاعلام في ترسيخ الثقافة الديمقراطية مرحليا، أي ان هذه الوسائل في مرحلة أولى بحاجة الى مجال أوسع من الحرية حتى يمكنها في مرحلة ثانية القيام بدورها في إرساء الثقافة الديمقراطية، و بهذا يتم ترسيخ الثقافة الديمقراطية بتأسيسها كنظام سياسي ، ثم يتبنها المجتمع كأسلوب للحياة أي كثقافة ، وهنا يكون لوسائل الاعلام الدور الفعال في تبني المجتمع للثقافة الديمقراطية، وهذا ما يؤكد كل من **Rummer and Rawsley** (الباقى، 2012، صفحة 27) انه بداية تحول النظام نحو الديمقراطية هي فرصة لوسائل الاعلام ان تكتسب مجالا أوسع من الحرية و بالتالي نضج أكبر في أدائها بالمجتمع، فتدافع عنه في حالة تمادي النظام و ابتعاده عن التوجه الديمقراطي، فترسخ بذلك الثقافة الديمقراطية من خلال مضامينها المقدمة للجماهير، كونها أصبحت أكثر تحررا من السلطة التي تقلصت قوتها بفضل وسائل الاعلام .

4- المحور الثالث: دور وسائل الاعلام في بناء الثقافة الديمقراطية

تعتبر وسائل الاعلام من الاليات الفاعلة في المجال السياسي ، كونها لا تقوم فقط بنقل المعلومات بل ان عملية صناعة الاخبار و تحويل المعلومات هي في ذاتها عملية سياسية، ما يجعل العلاقة بين وسائل الاعلام و العملية السياسية علاقة جدلية، فهي لا تنقل الخبر السياسي فحسب بل تعد مصدرا للسياسيين للتعرف على ردود أفعال الجمهور للسياسات المنتهجة مما يساعد على صناعة القرار السياسي، و هي في الوقت ذاته يعتمدها الجمهور في تكوين اعتقاده و اتجاهاته و مواقفه المختلفة إزاء الاحداث السياسية، وهذا ما يجعل وسائل الاعلام جزءا من النسق السياسي مثلما يؤكد علماء السياسة، حيث تستخدمها النخبة السياسية لإضفاء الشرعية و المصادقية على النظام السياسي، وتدعيم المؤسسات السياسية القائمة و تبرير السلوك السياسي للقادة السياسيين ،

و يتمحور دور وسائل الاعلام في بناء الثقافة الديمقراطية في بعدين أساسيين هما البعد النظري المبرر لدور وسائل الاعلام في بناء الثقافة الديمقراطية من خلال نظرية الغرس الثقافي، بالإضافة الى البعد الوظيفي لهذه الوسائل في بناء الثقافة الديمقراطية.

4-1 نظرية الغرس الثقافي

تعد نظرية الغرس الثقافي من النظريات الحديثة في الدراسات الإعلامية التي اهتمت بشق آخر في عملية تأثير الرسالة الإعلامية على المتلقي، و هي تصنف ضمن دراسات التأثير البعيدة المدى التي تهتم بالبعد الإدراكي للرسائل الإعلامية، بمعنى آخر كيف تؤثر وسائل الاعلام الجماهيرية على البنية الثقافية للمجتمع، وظهر مصطلح الغرس الثقافي لدراسة تأثير التلفزيون التراكمي و الشامل بشأن الطريقة التي يرى الجمهور بها العالم الذي يعيش فيه وليس لدراسة الاثار المستهدفة لوسائل الاعلام (الخصاونة، 2015) ويشكل ظهور الاعلام الثقافي عاملا أساسيا في ظهور نظرية الغرس الثقافي، حيث اهتم هذا التخصص بمجال الصناعة الثقافية على يد روبرت اسكاري **Robert escarpit** سنة 1976، حيث قام بدراسة الاعلام الثقافي من منظور انثروبولوجي، ليقدم عالم الاجتماع الفرنسي **ادقار موران Edgar Morrin** سنة 1986 طرحا مغايرا، ويعالج المضمون الثقافي عبر وسائل الاعلام بإضافة مصطلح الصناعة الثقافية، حيث قام بطرح مجموعة من التساؤلات المتعلقة بالإعلام و الاعلام الثقافي، وعلاقة العولمة بالإعلام الثقافي، وهل أن المضمون الإعلامي يحتفظ بالمادة الثقافية، أم أنه يقدم مضمونا مغايرا؟ (Balle, 2009)

أكد عالم الاجتماع الفرنسي **بيار بوديو Pierre Boudieu** ان وسائل الاعلام تسعى الى اضمحلال الثقافة من خلال ما تقدمه من مضامين خاضعة لمبدأ العرض و الطلب، وتذهب مدرسة فرانكفورت من خلال روادها ثيودور **أدورنو Théodore Adorno** و **ماكس هوركهايمر Max Horkheimer** الى أبعد من مسألة اضمحلال الثقافة بل هي تؤكد _ من خلال النظرية الثقافية المعاصرة _ على أن دور وسائل الاعلام لا ينحصر في عملية بث المضامين، بل هي تعيد بناء المجتمع كونها وسائل لصناعة الثقافة (Belkaci, 2018)

اهتمت نظرية الغرس الثقافي بدراسة المؤشرات الثقافية من خلال دراسة ثلاث قضايا متداخلة،

والمتمثلة فيما يلي:

- دراسة كل ما شانه يشكل ضغطا يؤثر على انتاج الرسائل الإعلامية .
- دراسة ما تعكسه وسائل الاعلام من قيم وصور ذهنية.
- دراسة الاسهام المستقل للرسائل الجماهيرية على إدراك الجمهور للواقع الاجتماعي.

ترجع أصول نظرية الغرس الثقافي الى عالم الاجتماع الأمريكي جورج جربنر George Gerbner (Aim & Billet, 2022)، وهي تهتم بالأفكار الخاصة بعمليات بناء المعنى و تشكيل الحقائق الاجتماعية و التعلم من خلال الملاحظة و الأدوار التي تقوم بها وسائل الاعلام في هذه المجالات، حيث تعد عملية الغرس الثقافي وصف لعملية التعرض التراكمي لوسائل الاعلام خاصة منها التلفزيون، حيث يتعرض المشاهد ودون وعي منه الى حقائق الواقع الاجتماعي لتصبح بصفة تدريجية أساسا للصور الذهنية و القيم التي يكتسبها الفرد عن العالم الحقيقي، و عملية الغرس ليست تدفق لموجة من التأثيرات التلفزيون لجمهور المتلقين، و لكن جزء من عملية ديناميكية تفاعلية بين الرسالة و السياق.

ويقوم الفرض الأساسي لهذه النظرية على فكرة ان الأشخاص الذين يشاهدون عدد هائل من البرامج التلفزيونية يختلفون في إدراكهم للواقع الاجتماعي عن أولئك الأقل تعرضا لها، و أن الأكثر تعرضا هم أكثر إدراكا و قدرة على بناء الصور الذهنية عن الواقع المعاش، و تعتمد النظرية على متغيرين أساسيين هما: عادات و نمط المشاهدة و هو المتغير المستقل، و يكمن المتغير التابع في المعتقدات والآراء والاتجاهات و القيم الثقافية (رداوي، 2020)، ويتضح من خلال نظرية الغرس الثقافي، أن مسالة التعرض لوسائل الاعلام هي ليست بريئة او عشوائية بل ان ما تقدمه وسائل الاعلام الجماهيرية و حتى الافتراضية منها، تؤثر و بدرجات مختلفة تتحكم فيها درجات التعرض الى وسائل الاعلام، في الجمهور المتلقي للمادة الإعلامية مما يؤكد على الدور الذي تلعبه هذه الوسائل في البناء الثقافي الديمقراطي و بذلك تغيير في السلوك الاجتماعي وفق ما تسطره هذه الوسائل من أهداف أيديولوجية و سياسية.

4-2 البعد الوظيفي لوسائل الاعلام في عملية بناء الثقافة الديمقراطية

يرى يورغان هبرماس Jurgen Habermas ضرورة توافر أربعة شروط أساسية حتى تتمكن وسائل الاعلام في أداء دورها في عملية بناء الثقافة الديمقراطية وهي:

- القدرة على تمثيل الاتجاهات المختلفة في المجتمع: بما ان المجتمع هو عبارة عن تركيبة مختلفة الاتجاهات والاحتياجات والأهداف الأيديولوجية، وحتى تكون وسائل الاعلام ذات إمكانية على تمثيل التنوع الاجتماعي وايصاله للجماهير العامة فعليها ان تتحرر من قيود السلطة الحاكمة.
- حماية وسائل المجتمع: أي أن تلعب وسائل الاعلام دور الحارس لحماية مصالح المجتمع وان تمكن الجمهور من مراقبة السلطة في حالة أي إخلال بالنظام.

- توفير المعلومات للجمهور: حتى تتمكن وسائل الاعلام من أداء دورها التكاملي مع المؤسسات التعليمية والمعرفية الأخرى، فعليها ان تكون مصدر للمعلومات حتى يتمكن المجتمع من اتخاذ القرارات الصائبة حيث يقول هبرماس (Habermas) ان وسائل الاعلام تجعل المواطنين يفهمون ما يحدث في العالم .. (الباقي، 2012، صفحة 73).

- المساهمة في تحقيق الوحدة الاجتماعية: ان وسائل الاعلام تساهم في تحقيق الوحدة الاجتماعية كونها تقاسم المعرفة بين أفراد المجتمع و تعزز بذلك المضمون الثقافي بما يتناسب وتوجهات أفراد المجتمع، حيث يرى لازويل Lazwell في هذا الصدد ان من الوظائف المهمة لوسائل الاعلام هو تحقيق الترابط في المجتمع، تجاه البيئة الأساسية و قضاياها مما يساعد على توجيه السلوك الاجتماعي . (Olivier, 2007)

- أضاف هبرماس في تحليله لدور وسائل الاعلام في أداء وظائفها بما يتناسب و إرساء الثقافة الديمقراطية ضرورة تمتع كل من المجتمع و الوسائل الإعلامية بمجموعة من الحقوق تتمثل في:

- حق الجمهور في الوصول الى وسائل الاعلام.
- المناقشة الحرة.
- الاستقلال عن السلطة: يتجسد من خلال تمتع وسائل الاعلام ذاتها بالديمقراطية حتى تتمكن من القيام بدورها بشكل فعال، حيث يرى ميلتون (Milton) ان حرية الصحافة هي القاعدة الأساسية في بناء الثقافة الديمقراطية .

خاتمة

يعد النظام الديمقراطي من الأنظمة السياسية التي تسعى الى ارسائها مختلف دول العالم، كونه أكثر الأنظمة السياسية حداثة وأكثرها تقديرا لمبادئ الانسان و لمكانته في المجتمع، و لا تتوقف الديمقراطية في المجال السياسي بل ان ارساءها و ترسيخها كثقافة مجتمعية سائدة هي الضامن لبقاء نظام الحكم واستمراره، وهنا تظهر أهمية وسائل الاعلام كوسيط أساسي و فعال في ترسيخ الثقافة الديمقراطية بالمجتمع

بما يتناسب و خصوصية النظام الاجتماعي الذي ليس بحاجة الى صورة طبق الأصل لنظام ديمقراطي عالمي، بل ان مبادئ تكييفه وفق للبنية الاجتماعية هي ليست فقط من وظائف النظام السياسي بل هي أيضا من وظائف وسائل الاعلام التي تعد حلقة أساسية في إرساء الثقافة الديمقراطية بما يضمن بقاء النظام سائدا في المجتمع.

ومن بين أهم الاستنتاجات المتوصل اليها من خلال هذه الدراسة نجد:

- لوسائل الاعلام دورا أساسيا في عملية التغيير السياسي كونها تعد الوسيط في العملية السياسية
- نجاح تطبيق الديمقراطية في المجتمع مرهون بمدى قابلية المجتمع على التغيير الذي لا يتأتى الا من خلال توسيع مجال الحرية لوسائل الاعلام.
- ان تطبيق الديمقراطية باعتبارها نظام سياسي، يبدأ من خلال ارسائها كثقافة مجتمعية قبل تطبيقها كنظام سياسي، وهنا تظهر مكانة المضمون الإعلامي الذي كلما كان بناءً - واقعيًا وحرًا كلما ساهم ذلك في بناء الثقافة الديمقراطية.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية

المؤلفات

- رشوان حسن عبد الحميد، (2006)، الحرية و الديمقراطية وحقوق الانسان، المكتب الجامعي الحديث ، القاهرة.
- عويد عدنان، (2006)، الديمقراطية بين الفكر و الممارسة، الوطن العربي نموذجاً، دار الفرقد للنشر ، سوريا.
- مباركية منير، (2013)، مفهوم المواطنة في الدول المعاصرة، وحالة المواطنة في الجزائر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت
- مفرج أسعد ، و وآخرون، (2006)، الديمقراطية، نوبليس للنشر و الإشراف، لبنان.

الأطروحات

- مرتاض نفوسي لمياء، (2013)، دور الشعر الملحون في التنمية الثقافية المحلية، دراسة سوسيو انثروبولوجية بمستغانم، أطروحة دكتوراه في علم إجتماع التنمية ، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة مستغانم، الجزائر .
- الخصاونة أحمد أبراهيم ، (2015)، استخدام المرأة في الاعلانات التلفزيونية، التلفزيون الأردني، قناة رؤيا أنموذجا، دراسة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الاعلام، كلية الاعلام، جامعة البترا، الأردن .

المقالات

- رداوي منال، (2020)، واقع ثقافة الطفل من خلال برامج الاطفال التلفزيونية"التلفزيون الجزائري نموذجاً، دراسة استطلاعية على عينة من الأطفال بولاية المسيلة ، المجلة الجزائرية للابحاث و الدراسات، المجلد رقم 5، (العدد 10) صفحة 43 _ 60.

المداخلات

- عبد الباقي عيسى، (29_12_2012)، وسائل الاعلام و التحول الديمقراطي في الدول العربية، اشكالية الدور وآلية التعزيز، المؤتمر الأول لمستقبل الاعلام في مصر، جامعة القاهرة، مصر .

مواقع الانترنت

- الجبوري حسين رزوقي، (ماي، 2018). مفهوم السلوك الاجتماعي. تم الاسترداد من : researchgate: <http://www.researchgate.net> (18/02/2022)

قائمة المراجع الأجنبية

Dictionnaire :

Larousse de poche, (1988), edition larousse , Paris.

Livres :

Balle, F, (2009), les médias, edition PUF , Paris.

Bruno Olivier, (2007), les sciences de la communication; théories et aquis, edition Armand Collin, Paris

Articles

Belkaci, K. (2018). Equisses des industries culturelles :Uniformisation de la culture. El Ryssala des études et recherches en sciences humaines ,volume 2 (n° 8) pp. 269-281.

Sites internet :

Aim, O., & Billet, S. (2015), communication. Récupéré sur dunod:
<http://www.dunod.com> (21/09/2022)

Lapierre, H. (2015) comment devenons nous des acteurs sociaux.
Récupéré sur eloge-des-ses.com: [http://eloge-des-ses.com/wp-content/upload/2015/10/acteurs sociaux-HLpdf](http://eloge-des-ses.com/wp-content/upload/2015/10/acteurs_sociaux-HLpdf) (19/01/2022)

Mourad, H. T. (S.D). psychologie sociale . Récupéré sur
DOCPLAYER.fr: <http://dovplayer.fr>" (16/2/2022)